

أضواء البيان

@ 86 @ الاستثناء وهل هو خاص بإبراهيم لأبيه أم لماذا ؟ .

وقد بينه تعالى في موضع آخر في قوله تعالى : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمْ تَكُ تَدْيِيْنُ لَهُ أَزْهَهُ عَدُوٌّ وَلِلَّهِ تَبِيرٌ } أَمْ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْسَاهُ حَلِيمٌ { تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادئ دعوته حينما قال له أبوه { أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْ نِي مَلِيًّا } قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّ زَوْهَ كَانَ بِي حَفِيًّا } فكان قد وعده ووفَّى بعده ، فلما تبين له أنه عدو ☐ تبرأ منه ، فكان محل التأسي في إبراهيم في هذا التبرؤ من أبيه ، لما تبين له أنه عدو ☐ . .

وقد جاء ما يدل على أنها قضية عامة وليست خاصة في إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى : { مَا كَانَ لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا } أَمْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا ؟ لِّلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَزْهَهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } وفي هذه الآية وما قبلها أقوى دليل على أن دين الإسلام ليست فيه تبعية أحد لأحد ، بل كل نفس بما كسبت رهينة ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . .

ومن عجب أن يأتي نظير موقف إبراهيم من أبيه مواقف مماثلة في أمم متعددة ، منها موقف نوح عليه السلام من ابنه لما قال { رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنِّي وَاعِدَكَ الْخَلْقُ وَأَنْتَ أَكْهَمُ الْخَالِكِينَ } فلما تبين له أمره أيضاً من قوله تعالى : { يَأْنُوحُ إِنَّ زَوْهَ لَيَسَّ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّ زَوْهَ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ } { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ بِي بِهِ عِلْمٌ } . فكان موقف نوح من ولده كموقف إبراهيم من أبيه . .

ومنها موقف نوح ولوط من أزواجهما في قوله تعالى : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ زُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنِنَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } . .

ومنها موقف زوجة فرعون من فرعون في قوله تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ

بَيِّنْتَائِ فِي الْجَنَّةِ وَنَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّيْنِي مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ { فتبرأت الزوجة من زوجها ، وهذا التآسي قد بين تمام البيان
معنى قوله تعالى : { لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ } أي ولا آباؤكم
ولا أحد من أقربائكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، وقول إبراهيم لأبيه { وَمَا أَمْلِكُ
لَكَ مِنَ اللَّهِ